معجزة البناء القيمي للشخصية كما ورد في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر

أ.د. زياد علي الجرجاوي
د. عبد الفتاح عبد الغني الهمص
الجامعة الإسلامية – غـزة

ملخص الدراسة:

هدفت الدراسة التعرف إلى معجزة البناء القيمي للشخصية كما ورد في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر، واستخدمت الدراسة المنهج التحليلي، حيث قام الباحثان بتحليل الآيات القرآنية الواردة في وصايا إبراهيم – عليه السلام – في القرآن الكريم لأبيه آزر، وذلك بالرجوع إلى التفاسير القرآنية وأمهات الكتب النبوية الشريفة، مستفيدين مما ورد في الأدب التربوي النفسي الاجتماعي الحديث، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: إن إبراهيم حينما حاور أبيه وقومه، ففي ذلك دلالة واضحة على اجتماعيته وإيمانه بالقيم الاجتماعية التي لابد للمربي وعالم النفس أن يتمثّلها ليكون قريباً من قومه وشعبه، وأن القيم الدينية التي تحدث عنها إبراهيم عليه السلام تساعد على بناء الشخصية الإسلامية كما وردت عند إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، كما تبيّن أن هناك معجزة قرآنية نفسية جاءت على لسان إبراهيم من خلال نصيحته وإرشاده وتوجيهه لأبيه وكان معه رقيقاً غير غليظ، وكذلك تتجلّى هذه القيم السياسية في إتباع إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر سياسة من أجل إيصال الرسالة النفسية المليئة بالصحة النفسية.

الكلمات المفتاحية: المعجزة، البناء القيمي، الشخصية.

Abstract:

The study aimed to identify the miracle of construction a moral character as stated in the commandments of “Abraham” in the Quran to his father “Azar”. The study used a descriptive analytical approach, where the researchers analyzed the verses that contained in the commandments of “Abraham” - peace be upon him - in the Quran to his father “Azar”, and by reference to the interpretations of Quranic and original prophetic books. The researchers references were from the modern educational literature and psychosocial books, the study reached many results, as the following: “Abraham” when he talked to his father and his people, it was a clear indication of his belief in social values that the educator and psychologist should have to be close to his people, also the religious values that were talked about “Abraham” help to build Islamic personality as mentioned in “Abraham story” at Quran. There was a; Quranic psychological miracle, came on the lips of “Abraham through his advice and guidance and direction to his father; he was kind with him, and also reflected the political values when “Abraham” follow his father by using political method to deliver his psychological message that filled by mental health.

Key words: miracle, value construction, personality.

المقدمة:

تهتم الأمم الحديثة ببناء الشخصية وقد أقيمت لذلك المؤتمرات والندوات وورش العمل من أجل رفد هذا الموضوع بمجموعة من الموضوعات المفيدة، خاصةً وأن المجتمعات الحديثة تتجه نحو المادة؛ ممّا أثر ذلك في البناء القيمي لشخصية الإنسان المعاصر، وقد تزايدت الأبحاث والدراسات التي أجريت نحو أزمة القيم في هذا المجتمع المتجدد الذي لا يتنبأ بما سيحدث بعد دقيقة فيه، وهذا الأمر حيّر العلماء والباحثين كثيراً، خاصةً المسلمين منهم، متناسين أن في القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة الكثير الكثير من هذا الموضوع.

ومن بين ذلك ما ورد في وصايا إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر قال تعالى: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) (الأنبياء،الآية: 52)، والناظر إلى الآيات السابقة يجد فيها الكثير عن الصحة النفسية، والتوجيه والإرشاد، والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولما كان الباحثان من المهتمين والمختصين في هذا المجال فوجدا فرصةً في إقامة هذا المؤتمر" الإعجاز في القرآن الكريم والسنّة النبوية لعقد العزم للقيام بدراسة تحليلية عن هذا الموضوع.

فقد دعا إبراهيم عليه السلام أباه آزر وذلك لقربه منه ومكانته الرفيعة لديه، ولخوفه عليه من الشرك، ومن عقاب الله، ومن عبادة الأوثان وإشفاقه عليه ورحمته به، فتودد إليه وتلطف في دعوته، ودعاه بأسلوبٍ جميل ومنطقٍ سليم، وبيَّن له فساد ما يعتقد، وعذاب الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ مريم، الآيتان: 41-42).

ولقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن إبراهيم كان نبيًا ورسولًا إلى قومه، والنبي يصدق الناس في دعوته ويشفق عليهم، ويهديهم إلى طريق الهداية، وأولى الناس بذلك هم أولو القربى، فبدأ إبراهيم عليه السلام بمخاطبة والده وإيضاح المنهج القويم الذي بُعِث به.

كما أن إبراهيم عليه السلام استعمل كلمة جميلة رقيقة في مخاطبة والده وهي كلمة (يا أبتِ) وكرّر استخدامها عدة مرات في خطابه لوالده، وهي كلمة مرققة تدل على التودد واستمالة العاطفة الأبوية، والاحترام، ويُلاحظ أنه عليه السلام كان غاية في الأدب في حواره مع والده، فسأله باستنكار لم يعبد هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ولا تغني عن نفسها شيئًا فكيف تغني عمن يعبدونها، وترك عبادة الله الخالق الواحد، وقد خاطبه بلغة العقل والمنطق في هذه الجملة إذ كيف لإنسان عاقل فُضِّلَ على سائر الكائنات بالعقل أن يعبد حجارة لا تضر ولا تنفع، ولا تتكلم ولا تسمع ولا ترى ولا تملك شيئًا، بل هي من صنع من يعبدها، فكيف لإنسان يعبد الصنم المخلوق ويترك عبادة الله الخالق.

كما أخبره بأنه رسولٌ من رب العالمين أوحى الله إليه النبوة وخصه بها ليدعو الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور، من عبادة الأوثان إلى عبادة الله الواحد الأحد، قال تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (مريم، الآية: 43)، كما أوضح له أن الشيطان عدو لله وعدو للإنسان إذ يدعوه إلى الشرك والكفر بالله تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ (مريم، الآية: 44)، وظل إبراهيم عليه السلام يدعو والده إلى الإيمان والهداية بالتي هي أحسن وأقوم ويتخيَّر ألفاظه مبيناً له شفقته عليه من الكفر الذي يجعله مستحقًا لعذاب الله وعقابه وألا يتبع خطوات الشيطان، وزلاته الذى عصى الله تعالى من قبل فأبعده الله وغضب عليه وطرده من جنته ورحمته؛ فإنك إن اتبعته أصبحت مثله، وسرت خلفه إلى الهلاك، قال تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم، الآية: 45).

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

إن قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام هي قصة مناسبة لكل الأعمار، لأن القرآن الكريم ذكر لنا فيها كل مراحل حياته، سنجده شاباً في السادسة عشرة من عمره، وسنرى ما هي أفعاله، وما هي اهتماماته، وكيف تصرف، وتذكر أنه حين ألقي في النار كان عمره ست عشرة سنة، ثم قصة زواجه من سارة وهاجر، وكيف كان يتصرف في فترة الشيخوخة وهو شيخ عجوز، وكيف كان يتعامل، هذه هي المراحل العمرية المختلفة التي مر بها سيدنا إبراهيم فالقصة تخدم كل هذه المعاني (الزبيدي، 1205، 307).

وصور القرآن الكريم في تكريم الله لإبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة، الآية: 4).

ويُنكر إبراهيمُ عليه السلام ويعيب على أبيه كونَه اتخذ أصناماً من حجر نحتها بيده آلهةً يعبدها من دون الله، وهذا تيْه بيِّن، وشرود واضح ، وبُعد ظاهر عن الطريق القويم والصراط المستقيم... وهذه الآية الكريمة جاء تفصيلها في سورة مريم في الحوار الذي دار بين خليل الرحمن عليه السلام الداعي بإذن الله إلى الحنيفية الحقة المتمثلة في توحيد رب العالمين وإفراده بالعبادة، وبين أبيه آزر واسمه عند المؤرخين والنسابين: تاريخ ... الذي كان وقومه يعكفون على أصنام وتماثيل في معابدهم ... والتي أخبرنا الله تعالى عن قول خليله عليه السلام فيهم وفيها: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء، الآية: 67).

كم مِنْ آزر على ظهر الأرض اليوم؟ سبحان الذي أحصى كل شيء وعده عداً ... فما مصير آزر وأمثاله الذين هم على نهجه ، السالكين مسلكه؟ فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يلقى إبراهيم أباه

آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك ... فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد ؟... فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين .... ثم يقال لإبراهيم: ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار (البخاري، 1422: 5538).

والدراسة الحالية تحاول إلقاء الضوء على البناء القيمي للشخصية كما ورد في وصايا إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم لأبيه آزر، والقيم هي الثوابت التي لا تقوم التربية إلا بها والتربية في ذاتها عملية قيمية ما دام هدفها تنمية الفرد والجماعة إلى مستويات نحو الأفضل عن طريق الاكتمال والنضج والتهذيب، والتثقيف المستمر المتواصل (أحمد، 1403: 33).

وبناء على ما تقدم ذكره فإن موضوع الدراسة يتركز في التساؤل الرئيس الآتي:

ما معجزة البناء القيمي للشخصية كما ورد في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر؟

ويتفرع من التساؤل الرئيس الأسئلة الفرعية الآتي ذكرها:

1. ما القيم الاجتماعية لبناء الشخصية كما وردت في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر؟
2. ما القيم الدينية لبناء الشخصية كما وردت في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر؟
3. ما القيم النفسية لبناء الشخصية كما وردت في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر؟
4. ما القيم السياسية لبناء الشخصية كما وردت في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر؟
5. ما القيم التربوية لبناء الشخصية كما وردت في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر؟
6. كيف يمكن الاستفادة من وصايا إبراهيم لأبيه آزر في تطوير البناء القيمي للشخصية في العصر الذي نعيش ؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:

1. الكشف عن القيم الاجتماعية لبناء الشخصية كما وردت في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر.
2. بيان القيم الدينية لبناء الشخصية كما وردت في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر.
3. إبراز القيم النفسية لبناء الشخصية كما وردت في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر.

4. معرفة القيم السياسية لبناء الشخصية كما وردت في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر.
5. إظهار القيم التربوية لبناء الشخصية كما وردت في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر.
6. كيفية الاستفادة من وصايا إبراهيم لأبيه آزر في تطوير البناء القيمي للشخصية في العصر الذي نعيش.

أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها من خلال:

1. تتناول هذه الدراسة موضوعاً قد يكون مهماً في تأصيل المعرفة الإسلامية أو التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية النفسية.
2. يتناول هذا الموضوع وصايا إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر الذي يعد من الموضوعات البكر التي تحتاج إلى تشمير السواعد لإفادة المجتمعات ممّا ورد في كتاب الله العزيز والسنّة النبوية الشريفة.
3. يعد هذا الموضوع إضافة جديدة إلى المكتبة العربية التي لا تزال بحاجة إلى مثل هذه الموضوعات خاصةً في موضوع التأصيل الإسلامي للمعرفة الإسلامية في التربية وعلم النفس.
4. قد يستفيد من هذه الدراسة القائمون على برامج الإرشاد النفسي ، وذلك عند تصنيف الأفراد وتوجيههم وإرشادهم وفق المبادئ الإسلامية الواردة في القرآن الكريم .
5. قد يستفيد من هذه الدراسة العاملون في مجال الصحة النفسية والعلاج النفسي فمن المعروف أن تصارع القيم عند بعض الناس يؤدي بهم إلى اضطرابات سلوكية، وكذلك للقيم دور في تعديل السلوك وفي إحداث التوافق النفسي والاجتماعي لدى الأفراد.
6. هذه الدراسة تفيد الأفراد في تكوين وبناء الشخصية السوية والهوية الذاتية للفرد المسلم.

مصطلحات الدراسة:

المعجزة: لغةً: اسم فاعل من الإعجاز والإعجاز مصدر أعجز.

أمّا اصطلاحاً: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة (أبو سعدة، د–ت: (10.

القيم: مجموعة من التنظيمات النفسية لأحكام فكرية وانفعالية يشترك فيها أشخاص بحيث تعمل تلك التنظيمات في توجيه دوافع الأفراد، ورغباتهم في الحياة الاجتماعية الكبرى لخدمة أهداف محددة تسعى لتحقيقها تلك الفئة (الهاشمي، 1409: 213).

الشخصية: تشتق كلمة الشخصية من المصطلح اليوناني BEASOA والتي تعني القناع الذي يضعه الممثلون على وجوههم في المسرح لتمثيل دور معين أما في المعاجم العربية فمشتق من شخص وهو سواد الإنسان أي معالم الإنسان أو ما يدل عليه من الخصائص التي تميزه عن غيره. (القذافي، 1416: 9).

ويتبنى الباحثان هذا التعريف إجرائياً كونه يتناسب مع دراستهما.

بناء الشخصية: تمتع الأفراد المشتركون في ثقافة واحدة بسمات معينة مشتركة هي التي تشكل البناء الأساسي لشخصياتهم ويتزود بها الأفراد خلال التنشئة الاجتماعية (زين العابدين، 1418: 7).

ويتبنى الباحثان هذا التعريف إجرائياً كونه يتناسب مع دراستهما.

حدود الدراسة:

تتحدد هذه الدراسة بموضوعها ومتغيراتها المحددة من خلال الآيات القرآنية الآتية (الأنعام، الآيات: (74–81)، (التوبة، الآيتان: 114–115)، (مريم، الآيات: 41–50)، (الأنبياء، الآيات: 51 –57)، (الشعراء، الآيات: (69 –83)، (الصافات، الآيات: –83 98)، (الزخرف، الآيات: –26 30)، (الممتحنة، الآيتان: 4 – 5).

ويتم عرض هذه الآيات من خلال الإجابة عن تساؤلات الدراسة.

وقد استفاد الباحثان من خلال ما كتب في هذا الموضوع من البحوث والدراسات السابقة المرصودة في هذا البحث، واجتهد الباحثان فيما أمكن لهما من توجيه الخطاب الديني واستنباط واستقراء ما ورد في الآيات القرآنية ليتطابق مع متغيرات البحث والإجابة عن تساؤلاته.

دراسات سابقة:

من خلال الاطلاع على الأدب التربوي، استطاع الباحثان أن يستعرضا بعضاً من الدراسات السابقة التي عالجت مشكلات قريبة من مشكلة دراستهما وهي على النحو الآتي:

1. **دراسة حافظ الجعبري (2009) بعنوان:** « تحريق إبراهيم عليه السلام عرض ونقد» هدفت الدراسة إلى التفسير وكشف معاني القرآن، وبيان مراد الله من كلامه على وجه التحديد بياناً مستنداً إلى أصول صحيحة معلومة، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، التحليل والتأمل، والاستقرار والاستنباط، وبينت أن تفسير القرآن في الصدر الأول من الإسلام كان قليلاً؛ لأنه نزل بلسانهم، وهم أهل العربية والفصاحة، والله خاطبهم بما يفهمونه، ثم توسعت الحاجة إليه بعد امتداد الدولة الإسلامية، ودخول العجم حيث كثر اللحن، ثم تطور واتخذ مناهج واتجاهات متنوعة تعود باختصار إلى اتجاهين، هما: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، والأول يشمل الأقوال الواردة في التفسير من حيث: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، ويلحق به المأثور عمَّن أسلم من أهل

الكتاب والمعروف بالإسرائيليات، والثاني يشمل إبداء الرأي والاجتهاد في توظيف العلوم المختلفة في تفسير القرآن وفق قواعد تتيح للمفسر الوقوف على لغته وبلاغته؛ ليبين إعجازه، وليستنبط منه الأحكام والعبر وفق اتجاهات تلائم حاجات العصر، ومتطلبات العلم الحديث، وبينت الدراسة حقيقة المعجزة التي أيد الله بها خليله، ونجاه من عقوبة الموت حرقاً بعد أن اعتدى على ألهتهم، وكذلك الاتجاه الأثري، وللاتجاه العقلي في حقيقة ما حصل، والرأي الذي اختاره محافظاً على الإعجاز أولاً، وأخذ العبرة ثانياً.

2. **دراسة يوسف سليمان الطحان (2011) بعنوان:** « السمات الأسلوبية في القصة القرآنية قصة إبراهيم عليه السلام – أنموذجاً» هدفت الدراسة التعرف إلى السمات الأسلوبية في القصة القرآنية باتخاذ قصة (إبراهيم) عليه السلام أنموذجا للتطبيق لما تميزت به هذه القصة من التكرار الذي يستوعب تنوع الأساليب والتعبيرات الفنية، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى نتائج أهمها: تميزت قصة (إبراهيم) عليه السلام بسمات دلالية من خلال دلالتي الألفاظ والصور، إذ تنوعت الدلالة من سياقية فيما تتعلق بالوادي وبالبيت المحرم أي مكة والكعبة، وعدم ذكر اسم الابن المذبوح والمقصود به (إسماعيل) أو الدلالة الاقترانية من اقتران لفظة الضيف بإبراهيم والمقصود الضيوف لاقترانه بأفعال تدل على ذلك (دخلوا – قالوا) كما سبق بـ (هؤلاء) أما الدلالة الإيحائية فتأتي في حدث رفع القواعد من البيت بما يدل على أن الأساس والقواعد موجودة وما كان الرفع إلا إزالة الأنقاض من على البناء وإظهاره، وتنوعت دلالات الصور من تشبيه كما في تشبيه الحالة التي مرت (بإبراهيم) عليه السلام عندما رأى معبودات قومه بـ)السقيم(أو استعارة كما في وصف قوم إبراهيم)ثم نكسوا على رؤوسهم (بعد أن رأوا الحجة الدافعة من عدم نطق الأصنام، أو كناية بما يدل عليه رد إسماعيل على (إبراهيم) عليه السلام (يا أبتِ افعل ما تؤمر) من القبول ليس باللسان فحسب بل بصدق الجنان المؤيد بالواقع من الخضوع والاستسلام، فالكناية عن صفة الطاعة الكاملة وقبول الأمر.

3. **دراسة عفاف مكاوي قيلي، وبكري عمر حاج الحسين (2012) بعنوان:** « أساليب إبراهيم عليه السلام في الدعوة» هدفت الدراسة التعرف إلى أساليب إبراهيم عليه السلام في الدعوة، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وبينت أن إبراهيم عليه السلام وطريقته في الدعوة، تختلف عن بقية الأنبياء، فهو أبو الأنبياء وشيخ الحنفاء، خرج من بيت له مكانته في ذلك المجتمع، فأبوه صانع ماهر للأصنام، وجد العنت في دعوته والتهديد من أقرب الناس إليه، فالكل ضده، من عبدة الأصنام، والحكام المتألهين، أما الحجج النافعة التي ساقها فقد أثبتت عجز الطغاة أمامها فاستخدموا قوتهم الباطشة، وهذا حالهم في كل زمان ومكان، وبينت الدراسة أن ما تعرض إليه إبراهيم عليه السلام في مسيرته هو مصير أي داعية في كل عصر، وإن اختلفت المسميات، وتطورت الوسائل وتعددت ولكن بالرغم من ذلك فقد حقّق إبراهيم عليه السلام نجاحاً في مقارعة الخصوم، وأبدى شجاعة فائقة في مواجهة الطغاة، لذا استحق أن يوصف بأنه أمّة.

4. **دراسة صلاح سالم باعثمان (2012) بعنوان:** « أدب نبي الله إبراهيم مع أبيه من خلال سورة مريم دراسة موضوعية» هدفت الدراسة التعرف إلى أدب إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر وذلك من خلال سورة مريم، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وكانت هناك رحلة مع كتاب الله عز وجل ومع

سورة مريم خاصة، وتم التعرف إلى شخصية إبراهيم عليه السلام إمام الناس والأمّة الذي علّم الدعاة والأبناء محبة الابن لأبيه وخوفه عليه ورأفته به وحرصه على أن يقيه غضب الرحمن وما زال يلين قلبه ويرقق فؤاده لإتباع الحق، فما لانت قناته وكان ختام الكلام السلام، وكانت نهاية القول الدعاء، وتوصلت الدراسة إلى نتائج أهمها: أن الثبات على المبدأ من أهم ما تميزت به شخصية إبراهيم عليه السلام، وأن الرفق واللين من أهم أوصاف الداعية حيث قوبلت السيئة بالحسنة، والإيذاء بالسلام، وأن التحذير من العقوبة لابد وأن يكون ملازماً للدعوة، وأن يكون التحذير بالتلميح لا بالتصريح تأسياً بإبراهيم الخليل، وأن دعوة إبراهيم عليه السلام بنيت على الاستدلال العقلي في كل حواراته مع أبيه وقومه، وأن إبراهيم عليه لسلام اتصف بجليل الصفات وكريم الخصال التي تجعله على قدر عال من الحكمة والتعقل.

5. **دراسة فاطمة مستور المسعودي (2012) بعنوان:** « الأداء الحركي للشخصية في قصص إبراهيم وذريته عليهم السلام في القرآن الكريم دراسة موضوعية فنية» هدفت الدراسة إلى رصد صور من الأداء الحركي للشخصية القرآنية في قصة إبراهيم وذريته عليهم السلام، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى أن قصص القرآن الكريم من خلال قصص إبراهيم وبنيه عليهم السلام حفلت بأنماط من الفعل الدرامي الديناميكي الذي يستمد حضوره وجماله من قوة ما فيه من أداء حركي مشحون بالتوتر الذي يخرجه عن النمطية، فللشخصيات في القرآن الكريم أفعال تجاوزت نمطية الأداء في (قال) و (جاء) وما على شاكلتهما مما كان ذكره لا يثير في الذهن تصوراً مميزاً ولا يسلط بؤرة التركيز في التخيل على عضو معين أو أداء محدد يفاجئ المتلقي بفعل أو ردة فعل، كما كان الأسلوب المعجز في تلك القصص بلمحات من حركة العين وهي تنتقل في أحوال متعددة، فتارة عمياء قد تحول سوادها بياضاً من الحزن، ثم لا يلبث إلا بضع مشاهد لتعود مبصرة قد ارتد نورها بعد ذهاب.

6. **دراسة بان حميد فرحان (2014) بعنوان:** « جمالية القصة القرآنية – قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام أنموذجاً» هدفت الدراسة التعرف إلى مفهوم القصة في القرآن الكريم وما مفهومه في النقد الأدبي الحديث، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث بينت الدراسة أن القصة تقوم على عناصر أو أركان عدة ولكل عنصر جمالياته وذلك من خلال قصة إبراهيم عليه السلام، فبينت الدراسة أن هذه العناصر والتي تتمثل في عنصر الأحداث، والشخصيات، والحوار، والزمن، والمكان، وتوصلت الدراسة إلى أن عنصر الأحداث من أهم العناصر في القصص القرآني كله، فهو موجود في كل قصة سواء أكانت طويلة أم قصيرة، وسواء أكانت من قصص الأنبياء أم غيرهم، وسواء أكانت موزعة الحلقات أم معروضة في معرض واحد، أمّا عنصر الشخصيات فقد كانت الشخصية هي الفلك الذي يدور حوله الحدث، كما بينت عنصر الحوار وهو حديث البطل مع غيره، وحديثه مع نفسه، ومن البيّن أن هذا العنصر يجسّم حيوية القصة بأعلى درجاتها ما دام الكلام مع الآخرين أو مع النفس هو المفصح عن دوافع الشخصية ورغباتها عن صراعها، أمّا عنصر الزمن فإنّ للقرآن الكريم منهجاً خاصاً في عرض التاريخ وتصوير الأحداث التي وقعت في الزمن الماضي، كما بين الله في قصة إبراهيم عليه السلام، وكذلك عنصر المكان فنجد القرآن الكريم ينظر إلى المكان على النحو الذي ينظر به الزمان، فهو لا يعني بذكر أسوأ الأماكن ومواصفاتها

إلا إذا كان لها وضع خاص يؤثر في سير الحدث أو يبرز ملامحه، أو يقدم شواهد العظة والعبرة منه، وهذا ما تجلّى في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، نسمعه وهو يناجي ربه طالباً الأمن والأمان لأشرف بقعة في عالم المكان وهي مكة المكرمة.

7. **دراسة إيمان حسن سمور (2016) بعنوان:** « التوجيهات التربوية في خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر كما جاء في القرآن الكريم» هدفت الدراسة إلى ذكر الآيات التي تتحدث عن خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه، وذكر الأساليب التربوية المختلفة للاستفادة منها في الدعوة إلى الله أو مجالات التربية المختلفة، وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وخلصت الدراسة بمجموعة من النتائج أهمها: استخدام أسلوب الحوار بعيداً عن الخصومة أو التعصب بطريقة تعتمد على العلم والعقل، وكذلك الحكمة من ذكر استغفار إبراهيم لأبيه في القرآن الكريم، فقد وعد أباه أن يستغفر له فلما مات مشركاً تبرأ منه، وكذلك أسلوب الوصية والموعظة وهي النصح والتذكير بالعواقب وتذكير الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب، وكذلك استثارة الدافعية والتي تمثلت في إبراهيم عليه السلام عندما بدأ حواره مع أبيه بأن وضع له هدفاً يمس حياته مساً مباشراً وهو النفع والمصلحة المبتغاة من عبادة الآلهة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تحقق نفعاً أو تدفع ضرراً.

التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة تبين لدى الباحثيْن أن دراستهما تختلف عن الدراسات السابقة كونها تتناول معجزة البناء القيمي للشخصية كما ورد في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر، وهذا الموضوع لم تتطرق إليه الدراسات السابقة، وقد تميزت هذه الدراسة عن الدراسات السابقة المرصودة في هذه الدراسة في كونها تركز على القيم النفسية والتربوية والاجتماعية، والسياسية، والدينية، وتختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة المرصودة في هذه الدراسة في طريقتها وتقسيمها للموضوع وإجابتها عن التساؤلات المطروحة في الدراسة، وتناولها لمتغيرات تختلف عن المتغيرات الواردة في مجمل الدراسات السابقة.

الطريقة والإجراءات

منهـج الدراسـة:

اتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي الذي يحاول الإجابة عن السؤال الأساسي في العلم وماهية وطبيعة الظاهرة موضوع البحث، ويشمل ذلك تحليل الظاهرة، وبيئتها، وبيان العلاقة بين مكوناتها.

ويعرف المنهج الوصفي الأسلوب التحليلي بـ: المنهج الذي يصف الظاهرة موضوع الدراسة ويقدّم تحليلاً لها بناء على آراء المختصين والمهتمين بناء على ما فهمه الباحثان من آرائهم ومقترحاتهم ويقوم بترتيب الأفكار والمفاهيم ليقدمها في ثوب جديد للقارئ (الجرجاوي وآخرون، 2005: 21).

نتائج الدراسة:

إجابة تساؤلات الدراسة:

إجابة التساؤل الأول والذي ينص: ما القيم الاجتماعية لبناء الشخصية كما وردت في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر؟

قام الباحثان ببيان ما تمّ بين إبراهيم عليه السلام وأبيه آزر من حوار يسوق إبراهيم لبيان بعده من الأعراف الاجتماعية، وكان ذلك من خلال الحوار الذي قدمه إبراهيم لأبيه آزر حتى يقنعه، فلم يعتزل إبراهيم أبيه على الرغم من ضلالته وبين أن قومه كذلك كانوا بعيدين عن القيم الاجتماعية باتخاذهم حجارة يصلون إليها، ويطوفون حولها في البيت العتيق.

إن إبراهيم حينما حاور أباه وقومه، ففي ذلك دلالة واضحة على اجتماعيته وإيمانه بالقيم الاجتماعية التي لابد للمربي وعالم النفس أن يتمثلها ليكون قريباً من قومه وشعبه؛ ليقدم لهم خلاصة عقله وفكره حتى يصلح المجتمع ومؤسساته، وإبراهيم عليه السلام جعل من الحوار أسلوباً ووسيلة يتقرب بها من أفراد المجتمع وهذا يدل على وعيه وفكره الاجتماعي الناصع والذي يؤتي ثماره في إصلاح المجتمع وتخليصه من الفساد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾. (الأنعام، الآيات: 74 –81).

فالحوار أساس من أسس الدعوة إلى الله سبحانه، وركيزة أساسية لبليغ الرسالة، ومنهج نبوي، ونهج راشدي، سار عليه الأنبياء، والأئمة والعلماء.

ومن خلال ما ذكر يرى الباحثان بضرورة التأكيد على توجيه الفرد إلى عبادة الله عز وجل، ونبذ عبادة الأصنام، وهذا ما هدف إليه النموذج الحواري، وكذلك تبصير الإنسان المنحرف بأسباب انحرافه وبيان نتيجة ذلك، وكذلك لفت انتباه أنظار المربين إلى أهم ركائز الحوار الإيجابي الفاعل والمتمثل في حشد البراهين المنطقية والأدلة الدامغة، وكذلك ضرورة الالتزام بآداب الحوار وقد تجسد ذلك بصورة جلية في سلوك إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه.

يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ؟ هكذا بدأ إبراهيم عليه السلام حواره مع أبيه، إدراكاً منه أن ما يسميه التربويون ب "الإثارة" أو "التمهيد" للدرس –عنصر جوهري من عناصر العملية التعليمية، إنه بدأ الحوار الهادئ بسؤال لا هدوء فيه على الإطلاق. سؤال يتصادم مع معتقدات موروثة تشبه بحيرة آسنة ساكنة، ران عليها السكون قروناً وآماداً طوالاً. فهو يلقي فيها بحجر من الحجم الثقيل ليحرك سكونها .

وهكذا... من واجب المعلم أن يكون بدء تدريسه قوياً مثيراً فعالاً: بأسئلة تهز الوجدان وتزلزل العقول وتدفع المتعلم دفعا إلى التفكير المستقل الحر.

نتعلم من خلال ما ورد في وصايا إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر وحواره أن الداعية المسلم وعالم النفس والمربي والمعلم عليه أن يبقى بين أفراد شعبه؛ ليبين لهم الأخطاء التي يقعون فيها، وهذا يعني أن عالم النفس المسلم يجب ألا يكون في برج عاجي يلقى تعليماته وإرشاداته ونصحه لأبناء شعبه عن بعد، فلابد أن يكون بينهم ويوضح لهم ما أثقل عليهم من أمور.

وهذه القيم الاجتماعية تساعد في بناء الشخصية للإنسان المسلم.

إجابة التساؤل الثاني والذي ينص: ما القيم الدينية لبناء الشخصية كما وردت في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر؟

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (التوبة، الآية: 114).

إن المتتبع لهذه الآية القرآنية يجد أنه لا حجة لكم أيها المؤمنون في استغفار إبراهيم لأبيه، فإن ذلك كان عن موعدة من آزر لابنه إبراهيم بالإيمان، فلما تبين أنه مستمر على كفره ترك الدعاء له، فلهذا يجب عليكم أن تعملوا بما صدر لكم من النهي عن الاستغفار، للمصرين على الشرك ولو كانوا أولي قربى، وقيل: إن الواعد إبراهيم عليه السلام، قد وعد أباه أن يستغفر له، فلما مات مشركاً تبرأ منه، ودل على هذا قوله ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ﴾ (مريم، الآية: 47)، فتعلق النبي محمد عليه السلام في الاستغفار لأبي طالب بقوله تعالى: ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ﴾، فأخبره الله تعالى أن استغفار إبراهيم كان وعداً قبل أن يتبين الكفر منه، فلما تبين الكفر منه؛ تبرأ منه، فكيف تستغفر أنت لعمك وقد شاهدت موته على الكفر، والاستغفار له، طلبه من الله تعالى أن يوفقه للإيمان ويهديه إليه، ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾، أي فلما ظهر لإبراهيم بالوحي أن أباه مصر على الكفر غير مؤمن أبداً؛ بعد عنه وتجنبه ونزه نفسه عن مصاحبته، وترك الاستغفار له، ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾، أي إن إبراهيم عليه السلام كثير التأوه، من عذاب الله تعالى، متضرع إليه، كثير الدعاء والتوبة، رحيم بعباد الله، عظيم الحلم، كثير الصفح، والمراد وصفه برقة القلب، وسعة الصدر وعظيم الرأفة والرحمة، وأنه يقابل الإساءة بالإحسان واللطف (الزحيلي، 1422: 4/26).

يتضح للباحثيْن مما سبق ألاّ يتوهم أحد من الخلق أن الله تعالى قد منع محمد – صلى الله عليه وسلم – من بعض ما أذن لإبراهيم فيه، وأن الله تعالى قد وصف إبراهيم عليه السلام في هذه الآية بكونه حليماً أي قليل الغضب، وبكونه أواهاً، أي كثير التوجع والتفجع عند نزول المضار بالناس، كما دل القرآن الكريم على أن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه، قال تعالى: (وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ) (الشعراء، الآية: 86)، كما قال تعالى: (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ) (إبراهيم، الآية: 41)، كما فال تعالى: (قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي) (مريم، الآية: 47)، وقال تعالى: (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) (الممتحنة، الآية: 4).

وما كان استغفار إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه، وذلك أن أباه وعده أن يؤمن فكان إبراهيم عليه السلام يستغفر له لأجل أن يحصل هذا المعنى، فلما تبين له أنه لا يؤمن وأنه عدو لله تبرأ منه، وترك ذلك (الرازي، 1876: 16/158).

كما تبين أنه يجب تحريم الدعاء للكافر بالمغفرة والرحمة، أو بوصفه كذلك، كقول البعض: (المغفور له، والمرحوم فلان....، وكذلك يجب قطع الموالاة مع الكفار حيهم وميتهم، فإن الله لم يسمح للمؤمنين أن يستغفروا للمشركين.

إن حوار إبراهيم –عليه السلام– مع أبيه وقومه؛ لإبطال عبادة الأوثان باستخدام الحجة والبرهان، حيث تجلت براعة إبراهيم –عليه السلام– في هذا الموقف في حواره لقومه، وقوة استخدامه للحجج، بالاستعانة بالحقائق المادية المحسوسة للإقناع، ودحض الحجج الباطلة التي استخدموها، وتعبر الآيات هنا عن ذلك بوضوح قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ)15(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (25) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (35) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (45) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (65) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ(75)﴾ (الأنبياء، الآيات: 15–75).

(وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ) في الرشد قولان: الأول: أنه النبوة واحتجوا عليه بقوله: وكنا به عالمين قالوا: لأنه تعالى إنما يخص بالنبوة من يعلم من حاله أنه في المستقبل يقوم بحقها ويجتنب مالا يليق بها ويحترز عما ينفر قومه من القبول.

والثاني: أنه الاهتداء لوجوه الصلاح في الدين والدنيا قال تعالى: (فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) (النساء، الآية: 6). وفيه قول ثالث وهو أن تدخل النبوة والاهتداء تحت الرشد إذ لا يجوز أن يُبعث نبي إلا وقد دلّه الله تعالى على ذاته وصفاته ودلّه أيضاً على مصالح نفسه ومصالح قومه وكل ذلك من الرشد (الرازي، 1876: 15/22).

ويرى الباحثان في كلام (غلوش،2002: 32) فائدة كبيرة لمن أراد أن يطلع على القيم الدينية من أسلوب إبراهيم عليه السلام في تبليغ الدين للناس وهي على النحو الآتي:

1. استعمال إبراهيم عليه السلام كافة الوسائل التي تمكنه من تبليغ دين الله للناس الذي أرسل إليهم به.
2. لقد استفاد بوسيلة الاتصال الشخصي، أي التوجه إلى أشخاص معروفين، ومخاطبتهم فرداً فرداً، فالاتصال الفردي الشخصي له فائدة وهو أن الداعي يطلع على أثر دعوته فيمن يخاطبه، ويمكنه مناقشته في الشبه التي يثيرها معه، ومن فوائده أنه يدفع العقل إلى التفكير والنظر بعيداً عن الجماعة، ولقد استفاد إبراهيم عليه السلام بهذا الأسلوب فدعا أباه ودعا الملك على ضوء ما فهم من القرآن الكريم.
3. توجّه إبراهيم عليه السلام إلى الناس بوسيلة الاتصال الجمعي، ويراد به مخاطبة جمهور من الناس بوساطة، أو بغيرها سواء كان اجتماعهم وفق نظام وخطة، أو بصورة تلقائية دعا إبراهيم عليه السلام قومه وهم مجتمعون في يوم عيدهم، وبيّن لهم هوان آلهتهم وفسادها.
4. دعا إبراهيم عليه السلام بالوسيلة العملية بعد أن كسر الأصنام ووضح لهم أنها آلهة لا تنفع نفسها، ولا ترد عدواناً يقع عليها، ودعاهم إلى ترك عبادتها، والتوجّه إلى عبادة الله وحده.
5. لما خاطب إبراهيم عليه السلام عبدة الكواكب اتخذ من الكواكب نفسها وسيلة توضيحية تشرح عدم استحقاقها للعبادة أبداً.
6. استخدم إبراهيم عليه السلام المجاراة وهي فن ناجح في الدعوة إلى الله تعالى وهو أن يسلم الداعية للمخاطب ظاهراً بما يؤمن به، ويجعل نفسه شريكاً له في معتقده، ثم يأخذ في التساؤل عن هذا المعتقد ليظهر حقيقته ويوضح مدى قربه أو بعده عن الحق.

ويرى الباحثان أن القيم الدينية التي تحدث عنها إبراهيم عليه السلام تساعد على بناء الشخصية الإسلامية كما وردت عند إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم.

إجابة التساؤل الثالث والذي ينص: ما القيم النفسية لبناء الشخصية كما وردت في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر؟

من خلال الاطلاع على الآيات القرآنية الواردة في القرآن الكريم والتي تحاكي القيم النفسية في وصايا إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر، تبين أن هناك معجزة قرآنية نفسية جاءت على لسان إبراهيم من خلال نصيحته وإرشاده وتوجيهه لأبيه وكان معه رقيقاً غير غليظ، قال تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (مريم، الآية: 43).

ومن المسلم به عند علماء التربية وعلم النفس أنه (لا تعلّم بدون دافعية) فالمعلم مهما يبلغ من النبوغ والبراعة لا يمكنه دفع طلبته إلى التعلم إذا ما كانوا عنه معرضين، وفي علمه زاهدين، أما إذا توفر لديهم دافع داخلي يحفزهم؛ علهم يقبلون على التعليم بعقول متفتحة، وقلوب واعية؛ لأن الدافعية تبعث في النفوس طاقة انفعالية

وتتحول هذه الطاقة إلى نشاط محسوس، وإن نجاح المعلم في عمله بقدرته على استغلال دوافع تلاميذه من أجل تحريك نشاطهم وتعديل سلوكهم من أجل تحقيق أهداف يحددها لهم.

وقد بدأ إبراهيم عليه السلام حواره مع أبيه بأن وضع له هدفاً يمس حياته مساً مباشراً، وهو النفع أو المصلحة المبتغاة من عبادة الآلهة، فإذا كان الإله الذي يعبده المرء لا يسمع ولا يبصر فكيف يمكنه أن يساعد من يعبده، أو يحقق له نفعاً، أو يدفع عنه ضرراً، فقد بدأ إبراهيم عليه السلام حديثه بإثارة النشاط العقلي عند أبيه لكي يحرك عنده طاقة انفعالية تجعله يفكر بالصورة الصحيحة في تلك الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر.

وينجح المعلم بقدر تمكنه من استعمال الحوافز مع طلابه، فإذا آنس فيهم شروداً، أو عناداً، أو خروجاً على المألوف، أو صدوفاً عن التعليم، احتال لذلك بما يوفر لديهم ولديه من حوافز مادية أو معنوية كأن يعدهم بمكافأة أو نزهة أو حفل أو ما شابه ذلك مما تتوق إليه النفوس، وتنشط له الأبدان .

وإبراهيم عليه السلام، بعد أن سعى إلى تنشيط عقل أبيه بالتفكير في جدوى عبادة الأصنام، أدرك أن هذا التفكير عملية عقلية معقدة بالنسبة لإنسان جامد الفكر، خامد الهمة، فأراد أن يقدم له حافزاً يشجعه به على المضي في عملية التفكير، فأخبره بأن ما منّ الله به عليه من العلم سوف يجعله في خدمة أبيه، وأن أباه لو أطاعه، وأعمل عقله فيما يعبد، لوصل إلى الحقيقة التي يتهرب منها : وهي أن هذه الأصنام التي ورث عبادتها عن الآباء والأجداد لا تنفع ولا تضر ولابد أن لهذا الوجود خالقاً يجل عن التجسيم، وهذا الخالق _ جل وعلا _ هو الذي رزق إبراهيم العلم.

فإبراهيم في هذا النداء الثاني (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) (مريم، الآية: 43)، يحفز أباه على الدخول معه في دنيا الإيمان الصافي بالخالق القادر.

فالمعلم يبسط أمام طلابه حقائق الموقف التعليمي ، ويبصرهم بما لتلك الحقائق من أبعاد مختلفة تتصل بهم، وبحياتهم، واهتماماتهم، ومصالحهم حتى يحقق لهم بذلك البسط والتبصير القانون الذي يسميه التربويون (قانون التعرّف) بمعنى أن المتعلم إذا كان ذا معرفة بعناصر الموقف المراد تعلمه، فإن هذا يسهل عليه استيعاب هذا الموقف الجديد والتكيف معه، وهذا ما فعله إبراهيم _ عليه السلام _ حين ربط لأبيه بين عبادة الأصنام، وعبادة الشيطان، وهذا أمر قد يغيب عن ذهن ذلك الأب الذي أعماه التقليد عن إدراك حقائق الموقف الجامد الذي يقفه من دعوة ابنه، فهو لا يدرك أن عبادته للأصنام ما هي إلا عبادة للشيطان في الحقيقة؛ لأن الأصنام حجارة لا قدرة لها على التأثير في نفسها ولا في غيرها، أما الشيطان فله سلطان على النفوس الضعيفة فهو الذي يسوّل لها، ويزين لها، ويوسوس لها، وقد عصى ربه سبحانه وتعالي، فمن أطاعه عاصيه لله، فهو عاصٍ بالتبعية.

ومن خلال الاطلاع على ما ذكر فإن الباحثين يخلصان في أن وصايا إبراهيم لأبيه جاءت في صميم التعامل المرشد الأمين الصادق للمسترشد، وكيف وإن كان هذا المسترشد أباً للمرشد، فإنه يجب أن يكون رفيقاً يهتم بالألفاظ التي ترقق القلب لإيصال التوجيه والإرشاد النفسي المعنوي والعملي لهؤلاء المسترشدين.

إجابة التساؤل الرابع والذي ينص: ما القيم السياسية لبناء الشخصية كما وردت في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر؟

تتجلّى هذه القيم السياسية في إتباع إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر سياسة من أجل إيصال الرسالة النفسية المليئة بالصحة النفسية فيتفكر الإنسان في قوله: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (الصافات، الآية: 85).

هناك اعتراض وتوجيه وفي الوقت نفسه نصح لهم لترك الشرك بالله وذم آلهتهم، فإن هذه السياسة التي كانت متبعة أضلتهم عن عبادة الواحد الديان.

فلا ينجح المعلم في أداء مهمته إذا كان عجولاً، يؤوساً، مقهوراً. وإنما ينجح بقدر ما يتحلى به من صبر ومصابرة، وقدرة على التحمل فإن المتعلمين قد يصدر منهم سوء أدب، أو فظاظة في الحوار، أو غلظة في الرد، أو تعدٍ على المعلم باليد أو اللسان. وعلى المعلم أن يكون قادراً على امتصاص ذلك كله وإحسان التعامل معه. وتدلنا الآيات على أن إبراهيم عليه السلام بعد أن استنفد كل وسائل الإقناع والتأثير، لم يجد من أبيه آذاناً صاغية ولا قلباً مفتوحاً. بل وجد إصراراً على الكفر، وسوء رد، وغلظة في الحديث، فهو يقول أربع مرات (يا أبت) وهو أسلوب نداء ترغيبي لأن ياء المتكلم في قوله (يا أبي) أبدلت تاءَ.

والمقام بينهما لا يحتاج إلى نداء، لأن الحوار مباشر وهما متقابلان وجهاً لوجه لكن تكرار النداء بالأبوة فيه تحنين للقلب الجامد، ومحاولة متكررة لاستحضار ملكات السمع والذهن الشاردة، ومع ذلك فإن الأب الجهول يستكثر أن ينادي ابنه بقوله (يا بني) مسايرة إياه بقوله (يا أبت)، بل إنه يقول له: يا إبراهيم ليؤكد عما بينهما من أمد بعيد من الانفصال العقلي والوجداني.

كما يجب على الداعية ضرورة اتصافه بالقلب السليم، قال تعالى:) وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ)83(إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (85) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86) فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (87) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (90) فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (93) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (94) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98) (الصافات، الآيات: 83 –98).

هذه الآيات شروع في جانب من قصة إبراهيم عليه السلام بعد الفراغ من قصة نوح عليه السلام، وقصة إبراهيم متعددة الجوانب، كثيرة الأحداث، وقد جاءت في سور كثيرة من سور القرآن، وكلها تعتمد الجانب العقدي، ثم تنتقل إلى الغرض الذي اختص بسورته ما عدا ما جاء في سورة الأنعام، فقد اختص بالجانب العقدي والتفكير في ملكوت السموات والأرض وخالقهما، ومسخرهما حتى خلص بإبراهيم عليه السلام من هذا إلى توحيد الله، وتوجيه وجهه إلى الذي فطر السموات والأرض (التفسير الوسيط، 1422: 429/8).

ومن خلال اطلاع الباحثين على ما كتب في التفسير المنير فإنه يتبين من خلاله القيم السياسية التي اتبعها إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر:

1. الأنبياء والرسل وإن طال الزمان بينهم، مهمتهم واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله عز وجل والإيمان بالرسل وبالبعث وإلى أصول الأخلاق والفضائل.
2. كان إبراهيم عليه السلام ذا قلب مخلص من الشرك والشك، ناصَحَ لله عز وجل في خلقه، عالماً أن الله حق، وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور.
3. من جملة آثار سلامة قلب إبراهيم عليه السلام أن دعا أباه وقومه إلى التوحيد فقال:)إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ((الصافات، الآية: 85)، قاصداً بذلك الكلام تقبيح طريقتهم ولومهم على فعلهم.
4. ندد إبراهيم عليه السلام بعبادتهم الأصنام مبيناً أنها إفك وأسوأ الكذب، وحذر من سخط الله حين لقائه، وقد عبدوا غيره.
5. تشاور القوم في أمر إبراهيم عليه السلام لما غلبهم بالحجة فقالوا: ابنوا له بنيانا، تملؤونه حطبا، فتضرمونه، ثم ألقوه فيه وهو الجحيم. قال عبد الله بن عمرو بن العاص: فلما صار في البنيان قال: حسبي الله ونعم الوكيل.
6. وأرادوا بإبراهيم الكيد، أي المكر والاحتيال لإهلاكه، فجعلهم الله المقهورين المغلوبين الأذلين، إذ نفذت حجته من حيث لم يمكنهم دفعها، ولم ينفذ فيه مكرهم ولا كيدهم.
7. الهجرة والعزلة واجبة إذا لم يتمكن المسلم من إقامة شعائر دينه، وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام، وذلك حين خلصه الله من النار قالَ: إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي أي مهاجر من بلد قومي ومولدي، إلى حيث أتمكن من عبادة ربي، فإنه سَيَهْدِينِ فيما نويت إلى الصواب. قال مقاتل: هو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارّة، إلى الأرض المقدسة وهي أرض الشام.
8. مشروعية الدعاء بالولد، فلما عرف إبراهيم عليه السلام أن الله مخلصه، دعا الله ليعضده بولد يأنس به في غربته، فقال: رب هب لي ولدا صالحا من الصالحين، فبشره الله تعالى على لسان الملائكة- كما تقدم في هود- بغلام يكون حليما في كبره، فكأنه بشّر ببقاء ذلك الولد، لأن الصغير لا يوصف بذلك (التفسير المنير، 1422: 116/23).

يتضح مما سبق أن ما ورد في وصايا إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر يعد قيماً سياسية تُبنى عليها شخصية الإنسان المسلم في كل زمان ومكان، ولذا يمكن الاستفادة منها في عصرنا الحاضر.

إجابة التساؤل الخامس والذي ينص: ما القيم التربوية لبناء الشخصية كما وردت في وصايا إبراهيم في القرآن الكريم لأبيه آزر؟

أوضح الباحثان أنه من خلال وصايا إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر مجموعة من القيم التربوية التي توجه شخصية المسلم نحو عمل الخير، وقبل البدء في أسلوب الوصية والموعظة، يعرفها الباحثان لغةً واصطلاحاً على النحو الآتي:

يقال العظة والموعظة، وكذلك الوعظ، والرجل يتعظ، إذا قبل الموعظة حين يذكر الخير ونحوه، مما يرق لذلك قلبه (الأزهري، 1384هـ: 3/164).

وهي النصح والتذكير بالعواقب، وتذكير الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب (بن منظور، 1387هـ: 15/345).

فظهر من التعريف اللغوي أن المعنى الاصطلاحي للموعظة: أن الموعظة هي الإرشاد والنصح والتوجيه بما يرقق القلب من التذكير بالعواقب وذكر الثواب والعقاب، وله ارتباط قوي بالتعريف اللغوي من حيث دلالة الأول على الثاني، كما هو واضح في تعريف الوعظ.

وقد ذكر (الجوزية، 1410هـ:344) في بيان معنى الموعظة: هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

والمتأمل في الآية القرآنية ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل، الآية: 125)، يجد ترتيباً لطرق الدعوة تجاه المدعوين، فمن المدعوين من هو جاهل، لا يعرف الحق، فهذا يدعى بالحكمة، وهو بيان الحق له من الكتاب والسنّة وتوضيحهما له، وأمّا من كان عارفاً بالحق واضحاً له، ولكنه ترك العمل به لنوع غفلة أصابته، فحقه العظة، والتذكير بالثواب والعقاب، حتى يلين قلبه للعمل بالحق والاستمرار عليه.

وأكّد (ابن باز، 1398: 18) بقوله: الحِكْمة كلمة تَمْنَع مَن سَمعها مِن المُضي في الباطل، وتدعوه إلى الأخذ بالحق والتأثُّر به، والوقوف عند الحدِّ الذي حدَّه الله عَزَّ وَجَلَّ. فعلى الداعية إلى الله عَزَّ وَجَلَّ أنْ يدعوَ بالحِكْمة، ويبدأ بها، ويُعْنَى بها، فإذا كان المدعُوَّ عنده بعض الجَفا والاعتراض دعوْتَه بالموعظة الحَسنة، بالآيات والأحاديثِ التي فيها الوعظُ والترغيب، فإنْ كان عنده شُبهة جادلْتَه بالتي هي أحسن، ولا تُغَلِّظ عليه، بل تَصبر عليه ولا تَعْجل، ولا تُعَنِّف، بل تجتهد في كشف الشُّبهة، وإيضاح الأدلة بالأسلوب الحسن، هكذا ينبغي لك أيها الداعيةُ أنْ تَتَحمَّل وتَصبر ولا تُشَدِّد؛ لأنَّ هذا أقرب إلى الانتفاع بالحق وقبوله وتأثُّرِ المدعُوِّ، وصبرِه على المجادلة والمناقشة، وقد أمر الله جَلَّ وعَلا موسى وهارون لَمَّا بَعَثهما إلى فرعون أنْ يقُولا له قَولًا

لَيِّنا وهو أطغى الطغاة ، قال الله جَلَّ وعَلا في أمْره لموسى وهارون: (فقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طه، الآية: 44)، وقال الله سبحانه في نبيِّه محمد عليه الصلاة والسلام : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) (آل عمران، الآية: 159) ، فَعُلِم بذلك أنَّ الأسلوب الحكيم والطريقَ المستقيم في الدعوة أنْ يكُون الداعي حكيما في الدعوة، بصيرا بأسلوبها، لا يَعْجَل ولا يُعَنِّف، بل يدعو بالحِكْمة، وهي المقال الواضحُ المُصيب للحق من الآيات والأحاديث، وبالموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسنُ، هذا هو الأسلوبُ الذي يَنْبغي لكَ في الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، أما الدعوةُ بالجهل فهذا يَضُرُّ ولا يَنفعُ، كما يأتي بيانُ ذلك إن شاء الله عند ذكرِ أخلاق الدعاة؛ لأن الدعوة مع الجهل بالأدلة قولٌ على الله بغيرِ علْم، وهكذا الدعوة بالعنفِ والشِّدَّة ضررُها أكثرُ. وإنما الواجب والمشروعُ هو الأخذ والموعظة تكون بذكر الآيات والأحاديث وضرب الأمثال الواردة في القرآن الكريم، وذكر الثواب والعقاب وكذلك ذكر عواقب الأمور؛ ممّا يدعو صاحب الموعظة ويرقق قلبه، ولا يغفل عن ذكر ربه، ومن تأمّل في القرآن الكريم والسنّة النبوية رآهما ذاخرين بالوعظ لتذكير القلوب الغافلة، ومن ذلك ذكر قصص الأقوام السالفين، وذكر المواعظ المشاهدة عياناً، فالموعظة لها أثرها في النفوس الآمنة المطمئنة التي عرفت الحق وأذعنت للعمل به.

ومن هذا يظهر أن الموعظة توجّه لمن كان عارفاً بالحق، ولكن أصابه من أسباب عدم العمل كغفلة ونحوها، قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ (مريم، الآيات: 41–48)، إنه الإعجاز التربوي للقرآن الكريم في صورة من صوره، صورة الحوار بين مربٍ، وجهول، بين عالم للحق، وعنيد بغفلته، بين نبي الله، وعدو الله، إعجاز يقوم على أسس من الإقناع والتبصير ومحاولة تعديل السلوك الخاطئ مستعيناً في سبيل ذلك بكل ما آتاه الله تعالى من حكمة وحسن تقدير.

ومن شأن المعلم إذا أخفق أسلوب التنشيط العقلي، واستعمال الحوافز، وبسط الحقائق، أن يلجأ إلى ما ترتدع به النفوس الشاردة، وترعى به القلوب الجاحدة، وهو أسلوب العقاب، أو التهديد باستخدام العقاب .

وهذا ما فعله إبراهيم عليه السلام في نهاية حواره، حين لم يلمح في وجه أبيه اطمئناناً إلى حديثه، ولا ثقة بحججه، ولا رغبة في إتباعه، بادر بتخويفه من عذاب الله تعالى، من موالاة الشيطان الذي هو عدو لله وعدو للمؤمنين.

وقد أوضحت الآيات الآتية من الحوار، وما رد به الأب الجهول على ابنه النبي العالم الصالح القانت الراغب في إنقاذ أبيه، من براثن الجهل، ووهاد الضلال، ودركات التبعية العمياء، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ (مريم، الآية: 46)، وهكذا كانت عماية الجهل، وغواية الانقياد الأعمى للموروث الثقافي المتهافت، غشاوةً على عقل الرجل، فلم يستجب لنداء الحق والإيمان، وختم الله على سمعه وبصره وبصيرته فلم يتبين أنوار الهداية التي تذرعت بكل أساليب الإقناع :

بالدعوة إلى أعمال العقل، وبالتحفيز على إتباع العلم، وبشرح أسباب الغواية، وبالتخويف من العقاب !.

وبالرغم من هذا الجفاء، وتلك الغلظة، لم يفقد إبراهيم عليه السلام حلمه، ولا أساء الأدب في حواره مع أبيه، وقال له في محاولة أخيرة لاستدرار عاطفته وإنذار عقله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ (مريم، الآية: 47) أين هذا المستوى الرفيع من الخلق النبيل؟ على غرار ما تتم مشاهدته في المجتمعات المعاصرة شباباً يتنكرون لآبائهم وأمهاتهم، وفيما تنشره الصحف وتذيعه الإذاعات من قضايا الأسرة ما يشيب لهوله الولدان: فهذا شاب أوتي قسطا من التعليم يستكبر على أبيه، لأن أباه رجل بسيط فقير الحال، فكأنه يتنكر لأصله، وهذا شاب أبوه غني ولكن الأجل يمتد به، والابن يتعجل الميراث فإذا به يقاضي أباه أمام المحاكم ويطلب الحجر عليه!! والأكثر بشاعة حين تمتد أيدي الشاب الفاسد إلى الوالدين بالضرب والإهانة ...

إن أبا إبراهيم هنا يهدده بالرجم والطرد من المنزل... والابن يرد في حلم العالم وعلم الحليم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ (مريم، الآية: 47) ومن آليات عمل المعلم التربوية كما تظهر في الحوار كما يراها الباحثان:

إن هذه الآيات على وجازتها تتضمن معالم تربوية يحسن إبرازها في صورة نقاط تتعلق بمهام المعلم وأدواره وآليات عمله كما تظهر في حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه، فعلى المعلم لكي ينجح في عمله أن ينوع أساليبه التدريسية حتى يصل إلى أهدافه، وإبراهيم عليه السلام في هذا الحوار، سعى إلى استمالة والده وكسب ثقته بالسؤال، والتحفيز، والبسط والشرح، والتهديد بالعقاب ونستفيد من هذه الأساليب وتقديرها أنها هي الأسلوب الأمثل لما يجب أن يكون عليه المعلم من سعة أفق، وقدرة على التكيف، ومرونة في الأداء.

أمّا تكرار كلمة (يا أبت) أربع مرات في الآيات الأربع التي توجه فيها إبراهيم –عليه السلام– بالخطاب إلى أبيه يدل على أهمية أن يكون تركيز المعلم في أسلوبه التربوي على ما يثير عواطف المتعلمين ويحرك مشاعرهم الانفعالية الإيجابية نحو الموقف التعليمي، فهو بهذا النداء المتكرر، يستدر عاطفة الأبوة، ويمد جسراً من الثقة بينه – وهو النبي العالم– وبين أبيه الجاهل الكافر العنيد وكأن علاقة الأبوة والبنوة – في تقديره– ستسهم في تحريك مشاعر الرجل ومن ثم تحريك عقله.

فقوة شخصية المعلم تقوم بالدرجة الأولى على مدى ثقته بنفسه، وبمادته العلمية، ورسالته الإنسانية، فإذا ما توفرت له ثقة بنفسه، وأحسن إعداد مادته العلمية، وآمن بنقل رسالته وصدقه مع نفسه في أدائها. كان ذلك أدعى إلى تحقيق أهدافه، وإنجاح عمله التربوي. وهذا ما يلمسه الإنسان المسلم واضحاً في حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه، وقد أوضح الباحثان أنه من خلال وصايا إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر أن هناك مجموعة من التوجيهات التربوية:

1. التصريح بأن ما عنده من العلم يفوق ما عند أبيه .
2. استعمال أسلوب التوكيد الذي يعكس ثقته بنفسه من جهة ويسعى إلى كسب ثقة الطرف الآخر بما يقوله من جهة أخرى ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ (مريم، الآية: 43).
3. تنويع أساليب الخطاب من سؤال، إلى تحفيز، إلى تهديد بالعقاب.
4. وعلى المعلم لكي ينجح في عمله أن ينوّع أساليبه التدريسية حتى يصل إلى أهدافه، وإبراهيم عليه السلام في هذا الحوار، سعى إلى استمالة والده وكسب ثقته بالسؤال، والتحفيز، والبسط والشرح، والتهديد بالعقاب ونستفيد من هذه الأساليب وتقديرها أنها هي الأسلوب الأمثل لما يجب أن يكون عليه المعلم من سعة أفق، وقدرة على التكيف، ومرونة في الأداء.

من خلال ما سبق تبدو هناك بعض التوجيهات التربوية التي تبني شخصية الإنسان المؤمن المسلم، وهذا يتمثل فيما ورد من وصايا إبراهيم لأبيه آزر، وهذا يساعد كثيراً من علماء النفس والتربويين في عالمنا المعاصر لأخذ هذه القيم من أجل بناء شخصية ذات قيم دينية وعلى أسس إيمانية سليمة.

إجابة التساؤل السادس والذي ينص: كيف يمكن الاستفادة من وصايا إبراهيم لأبيه آزر في تطوير البناء القيمي للشخصية في العصر الذي نعيش؟

من خلال ما كتبه الباحثان يمكن الاستفادة من وصايا إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر في العصر الذي نعيش حيث إنها اشتملت على جوانب الشخصية المتزنة والمبنية على القيم الإسلامية التي ذكرت في القرآن الكريم على لسان رب العالمين، والله عز وجل هو الذي خلق الإنسان متميزاً بشخصيته، وهو أعلم بما يصلح له، فإن كان هذا من عند رب العالمين، فإن ما ورد على لسان إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر يعد من الأمور الموثوقة التي يمكن على أساسها وضع اللبنات الأولى والركائز السليمة على بناء الشخصية المسلمة.

وهذه الوصايا اشتملت على جوانب الشخصية، كما تمّ ذكره ومنها: القيم الاجتماعية أو الجوانب الاجتماعية التي تساعد على الضبط الاجتماعي، وبناء النسيج الاجتماعي السليم بين أفراد الأسرة الواحدة المسلمة، والتي من خلالها يتم التفاعل بين أفراد المجتمع مع الآخرين.

وقد أوصى إبراهيم عليه السلام لأبيه أن يكون متفائلاً متجانساً في دينه وفي تعامله مع ربه لتُبنى الشخصية الاجتماعية على تلك القيم المجتمعية، وهذه تؤسس المسئولية الاجتماعية للداعية، أو عالم النفس المسلم.

وكذا وجّه إبراهيم عليه السلام أبيه آزر لاعتناق الدين السليم الذي ارتضاه رب العالمين للأمم السابقة والأمم التي تحمل التطور والعصرية فنبذ عبادة الأوثان وارتضى له عبادة الواحد الديّان ولقومه كذلك، فبين لهم أن هذه التماثيل لا تأكل ولا تشرب ولا تنفع ولا تضر فما هي إلا حجارة وضعوها لأنفسهم فأوهموا أنفسهم وأوهموا غيرهم بعبادتها.

وهذه القيمة يمكن أن يستفاد منها في العصر الذي نعيش فيه؛ لأنها تؤدي إلى سلوك سليم مع الله – عز وجل– ومع أفراد المجتمع ككل.

وقد تبنى إبراهيم عليه السلام في وصاياه لأبيه آزر من أجل جعل ذلك قواعد للشخصية المسلمة والقيم النفسية، والتي ركّز عليها إبراهيم عليه السلام كثيراً بحيث يكون رقيقاً وشفّافاً وسهلاً ليستطيع أن يتقبّل منه غيره، خاصةً وإن كان أباه، كما أن إبراهيم عليه السلام أرسى القواعد العصرية للقيم السياسية لبناء الشخصية وذلك من خلال استغلال الحكمة في توصيل مبادئ التوجيه والإرشاد والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبيه آزر ولغيره كذلك، وهذه القاعدة يؤخذ بها كثيراً اليوم، فإن الحكمة مهمة جداً في سياسة البشر.

وهذا الأمر يؤخذ به اليوم في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا التعليمية، فإن ما يؤخذ به فإنه يعلو شأنه كثيراً ويؤخذ برأيه وبوصاياه كثيراً، أمّا وإن وصايا إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر كانت في جوانب كثيرة، فإن إبراهيم عليه السلام سلك مسلكاً تربوياً مهماً في بناء القيم للإنسان المسلم خاصةً مع أبيه وقومه فكان لهم موجهاً تربوياً وقائداً تربوياً يُحتذى به؛ ممّا جعل كثيراً من الناس تتبع إبراهيم عليه السلام في تلك الوصايا.

وما أحوجنا في هذا العصر ونحن نؤصل للمعرفة من أجل دعوة بني البشر إلى الأخذ بآيات القرآن الكريم وبوصايا رب العالمين أن نأخذ بوصايا إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر لنتأسّى بها ونعمل بها، ونكون رحماء مع من نقوم بدعوتهم، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (الفتح، الآية: 29).

ملخص عام لأهم النتائج

من خلال الاطلاع على الآيات القرآنية الواردة في وصايا إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر في القرآن الكريم تبيّن لدى الباحثيْن أن البناء القيمي للشخصية اكتسب أهمية كبيرة في جوانب شخصية الإنسان المسلم من خلال التوجيهات والإرشادات التي أطلقها إبراهيم عليه السلام من صميم عقيدته الإيمانية لأبيه آزر، وكان من بين هذه الجوانب ما يلي:

1. القيم الاجتماعية لبناء الشخصية، وقد أورد القرآن الكريم آيات كريمات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الآيات من (74–81 من سورة الأنعام)، حيث تمّ التعرض لهذه الآيات خلال الإجابة عن التساؤل الأول فكانت النتيجة أن إبراهيم عليه السلام حاول حشد البراهين الدامغة والمؤيدة للجوانب الاجتماعية التي هزّت الوجدان وزلزلت العقول في هذا المجال، وهذا يغطي عالم النفس المسلم المشتمل على الكثير من الركائز الاجتماعية التي تساعد على بناء الشخصية للإنسان المسلم وتحافظ على العلاقات البينية بين الأب وابنه، وأفراد المجتمع الآخرين.

2. قد ركّز إبراهيم عليه السلام على القيم الدينية لبناء الشخصية وقد ذكر ذلك القرآن الكريم في (الآية 114، من سورة التوبة) حيث بينت أن إبراهيم عليه السلام أنكر الكفر على أبيه ودعا له واستغفر له رب العالمين حينما علم أنه عدو لله دعاه بالحكمة والحلم لدين الله عز وجل، وقد اتضح للباحثيْن أن القيم الدينية تساعد أفراد المجتمع في التخلي عن الغضب حينما دعا له، قال تعالى: ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (الشعراء، الآية: 86)، ودعا له في مواطن أخرى منها ما ورد في سورة إبراهيم (الآية،41)، وسورة مريم (الآية، 47)، وسورة الممتحنة، (الآية، 4)، وهذا يعطي المرشد النفسي في مجتمعاتنا جرعات إيمانية، منها: الرحمة والمغفرة، وطول البال، والصبر على المسترشد، حتى يقول ما عنده.

3. من خلال الإجابة عن التساؤل الثالث تبين أن القيم النفسية لبناء الشخصية وردت في وصايا إبراهيم لأبيه آزر، قال تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (مريم، الآية: 43)، وهذا يدل على أن المسترشد يجب عليه أن يقدم توجيهاته وإرشاداته بلطف ورقّة دون غلظة، وتثبث للقضايا المطروحة.

4. وكذلك عند الإجابة عن التساؤل الرابع تبين أن القيم السياسية لبناء الشخصية وردت في وصايا إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر، وذلك من خلال أن الرسل والأنبياء لهم مهمة واحدة وهي تخليص الشعوب من المكر والاحتيال والوقوف مع المغلوبين، والمقهورين، وهذا يتمثّل فيما ورد في سورة الصافات، (الآية، 85)، وكذلك تخليص الناس من البدع والخرافات وعبادة الأوثان.

5. ورد في وصايا إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر بعض القيم التربوية التي تساعد على بناء الشخصية وهذا ما ورد في سورة مريم (الآيات، 41–48)، وقد تناول إبراهيم عليه السلام الكثير من القضايا التربوية،

منها: الصدق والأمانة، والنظر إلى الحلال والسماع الذي يشوبه الإيمان، والعلم على أساس التربية، فهذا الإعجاز القرآني في صورة من صوره يقوي جوانب الحوار بين عالم الحق وعنادة الغفلة، فهذا هو أساس في العلم على الرغم من إعراض المتلقي، إلاّ أن الله عز وجل قال: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (مريم، الآية: 46)، فهذا أمر مهم وأصل من أصول التربية.

6. وهذه الأمور مجتمعة تبين لنا أنه يمكن الاستفادة من وصايا إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر في بناء الشخصية في تطوير البناء القيمي في العصر الذي نعيشه، حيث إن الآيات الواردة قد بينت أن جوانب بناء الشخصية المسلمة مجتمعة في هذا الأمر، فما أحوجنا في مدارسنا وجامعاتنا لمثل هذه القيم المجتمعية، وهذا يؤسس لبناء المنظومة القيمية اللازمة في مجتمعاتنا المعاصرة حيث هجر الابن أباه لأتفه الأسباب، وبعُد الأب عن أبنائه لأمور مادية دنيوية غير واقعية.

التوصيات والمقترحات

انطلاقاً ممّا خلصت إليه الدراسة من إجابة عن تساؤلاتها، أمكن التوصل إلى مجموعة من التوصيات والمقترحات يلخصها الباحثان فيما يلي:

1. الاهتمام بالتراث العربي الإسلامي في القضايا التربوية والنفسية عن طريق جمع الآيات والأحاديث النبوية بطريقة متخصصة وعقد دراسات عليها.
2. إنشاء مركز متخصص لقضايا التأصيل التربوي والاجتماعي والنفسي يمد الباحثين بكافة المفاهيم والمصطلحات التربوية والنفسية في المجال.
3. إقامة المؤتمرات والندوات وورش العمل في هذا المجال.
4. وضع جائزة دورية سنوية لمن يقدّم أبحاثاً نوعية في هذا الجانب.
5. الدعوة من وصايا إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر في كافة جوانب الشخصية المسلمة اجتماعياً، ودينياً، ونفسياً، وسياسياً، وتربوياً.
6. ربط هذه الوصايا والنصائح والإرشادات والتوجيهات بما يقوم به المرشد النفسي في عصرنا الذي نعيشه لنقدم لطلبتنا المبادئ والقيم على هدى م المولى عز وجل.
7. إجراء الدراسات المقترحة الآتية:
   - الأساليب السيكولوجية التي اتبعها إبراهيم عليه السلام في دعوته.
   - المنهج العقلي الذي اتبعه إبراهيم عليه السلام مع أبيه كما ورد في القرآن الكريم.
   - شخصية إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل (1387): لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.
- أبو دف، محمود (2002): مقدمة في التربية الإسلامية، مكتبة آفاق، غزة، فلسطين.
- أبو سعدة، شفيق (د- ت): دراسات أدبية من القرآن الكريم، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
- أحمد، بركات لطفي (1403) : القيم والتربية، دار المريخ، الرياض، السعودية.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (1384هـ): تهذيب اللغة، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، مصر.
- بن باز، عبد العزيز عبد الله (1398): الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، العدد الرابع، مجلة البحوث الإسلامية، السعودية، ص ص 23 – 43.
- الجعبري، حافظ (2009): تحريق إبراهيم عليه السلام عرض ونقد، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع16، فلسطين، ص ص 305- 330.
- الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن القيم (1410هـ): تفسير القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.
- الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي (1876): مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الزبيدي، محمد مرتضى (1205): تاج العروس، منشورات دار الحياة، ج1، بيروت، لبنان.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى (1422): التفسير الوسيط للزحيلي، ط2، دار الفكر، دمشق، سوريا.
- زين العابدين، محمد خلي (1998)، مبادئ علم الاجتماع ، دار مصلح ، بيروت، لبنان.
- السحيم، محمد بن عبد الله (2009): الحوار النصراني الإسلامي، الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، كلية الشريعة، جامعة الشارقة، الامارات.
- سمور، إيمان حسن (2016): التوجيهات التربوية في خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر كما جاء في القرآن الكريم، مشروع تخرج، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية، جامعة القدس المفتوحة، فرع غزة، فلسطين.
- الطحان، يوسف سليمان (2011): السمات الأسلوبية في القصة القرآنية قصة إبراهيم عليه السلام – أنموذجاً، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، مج10، ع3، العراق، ص ص 205- 223.
- غلوش، أحمد أحمد (2002): دعوة الرسل عليهم السلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- فرحان، بان حميد (2014): جمالية القصة القرآنية – قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام أنموذجاً، مجلة كلية التربية الأساسية، كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، ع82، المجلد 20، العراق، ص ص 231-244.
- القذافي، رمضان (1996): الشخصية، ط 3، بنغازي، ليبيا.
- قيلي، والحسين، عفاف مكاوي، بكري عمر حاج (2012): أساليب إبراهيم عليه السلام في الدعوة، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات، جامعة عين شمس، ع13، ج2، القاهرة، مصر، ص ص-255 282.
- المسعودي، فاطمة مستور (2012): الأداء الحركي للشخصية في قصص إبراهيم وذريته عليهم السلام في القرآن الكريم دراسة موضوعية فنية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع7، أم القرى، السعودية، ص ص 63 -104.
- الهاشمي، عبد الحميد محمد (1409): المرشد في علم النفس الاجتماعي، جدة، دار الشروق، السعودية.